دور القريشيين في ازدهار التجارة العالمية وأسواقها التجارية في الجزيرة العربية خلال عصر الجاهلية وعصر النبوة

د. سعد علي محمد أحميده. ـ قسم الآثار الإسلامية – كلية السياحة والآثار – جامعة عمر المختار

The role of the Qurayshin in the prosperity of global trade and its commercial markets in the Arabian Peninsula during the era of pre -Islamic and the Prophet

Abstract:
This research revolves around studying the subject of trade and commercial markets and the role of the Quraysh tribe in its prosperity and organizing its seasonal stages in the Arabian Peninsula in the pre-Islamic era and the era of prophecy. As is known, the Arabian Peninsula, with its excellent geographical location, played an important role in world trade throughout the ages and times. Arab trade, trade routes and markets flourished in it before and after Islam. The peninsula, by virtue of its prominent and unique geographical location, its navigable shores and its location in the heart of the ancient world, formed a major link that connected the two oldest worlds known to humanity, the world of natural resources in the East and the world of imports, the world of the Mediterranean in the West.

الملخّـــــــــص:

يدور هذا البحث حول دراسة موضوع التجارة والأسواق التجارية ودور قبيلة قريش في ازدهارها وتنظيم مراحلها الموسمية في الجزيرة العربية في عصر الجاهلية وعصر النبوة ، فكما هو معروف أن الجزيرة العربية بموقعها الجغرافي الممتاز لعبت دوراً هاماً في تجارات العالم عبر العصور والأزمنة ، فقد ازدهرت فيها التجارة العربية والطرق التجارية والأسواق قبل الإسلام وبعده، فالجزيرة بحكم موقعها الجغرافي البارز والفريد وشواطئها الصالحة للملاحة وبتوسطها قلب العالم القديم شكلت حلقت وصل رئيسية ربطت بين أقدم عالمين عرفتهما البشرية ، عالم الثروات الطبيعية في الشرق وعالم الاستيراد عالم البحر المتوسط في الغرب .

الكلمات المفتاحية: التجارة – الجزيرة العربية – الطرق – القوافل – الأسواق

المقدمـــة:

لعبت الجزيرة العربية بموقعها الجغرافي الممتاز دوراً مهماً في تجارة العالم عبر العصور والأزمنة، فقد ازدهرت فيها التجارة العربية وأسواقها التجارية قبل الإسلام وبعده، فالجزيرة بحكم موقعها الجغرافي البارز والفريد وشواطئها الصالحة للملاحة

وبتوسطها قلب العالم القديم شكلت حلقة وصل رئيسية ربطت بين أقدم عالمين عرفتهما البشرية، عالم الثروات الطبيعية في الشرق وعالم الاستيراد عالم البحر المتوسط في الغرب.

فكان لهذا الموقع الجغرافي الممتاز دوره في خدمة التجارة في الفترة الممتدة قبل الإسلام وهي فترة انتعاش التجارة (القريشية المكية) والتي عرفت في الجاهلية وقبل الإسلام برحلتي (الشتاء والصيف).

أما فـــي الإسلام فإن التّجارة المكية قد أخذت في التلاشي بسبب قيام الدولة الإسلامية في المدينـــة خلال العصر النبوي ، وباتساع الدولة الإسلامية في عصر النبوة تلاشت التجارة المكية نظرا لنشوء دولة فسيحة الأرجاء عاصمتها المدينة المنورة والتي توسعت حدودها السياسية وازدهر نظامها الاقتصادي والذي لعب دوراً مهماً أسهم في ظهور طرق تجارية جديدة لدولة النبوة ومن بعدها الخلافة الراشدة والتي حلت محل التجارة المكية ، هذا بالإضافة إلي تطور المدن التي دخلت بتبعيتها لدولة المدينة والتي أخذت مكانة مكة في تنظيم التجارة الإسلامية خلال تلك الفترة.

ولتوضيح الدراسة تم تقسيمها إلى عدة محاور هي**:**

أولا ـ أهمية الموقع الاستراتيجي الجزيرة العربية:

تمتعت الجزيرة العربية بموقع استراتيجي وجغرافي ممتاز جعل لها أهمية في التاريخ القديم، حيث نشأت علي مشارفها الحضارات القديمة والقوي العظيمة، مما جعلها حلقت وصل بين بلاد جنوب أسيا وشرقيها من ناحية، وبين بلدان حوض البحر المتوسط من ناحية أخري (1)

فهي بهذا الموقع الممتاز تقع في الركن الجنوبي الغربي من قارة أسيا ، ويحدها من الشرق خليج البصرة والحيرة ودجلة والفرات ، ومن الجنوب المحيط الهندي وبحر العرب ، ومن الغرب بحر القلزم (الأحمر)، أما من ناحية الشمال فتبدا حدودها من غزة الواقعة علي شواطئ البحر المتوسط وتسير شرقا حتي وادي (2) ومن هذا الموقع يتضح لنا سبب تسميتها بالجزيرة العربية نظرا لأنها تكاد تكون محاطة بالأنهار والبحار من جميع الجهات ، فصارت بذلك مثل الجزيرة المحاطة بالمياه (3)

وتضم الجزيرة العربية خمسة اقسام كبري وهي الحجاز وتهامة ونجد والعروض واليمن (4) والتي تتبعها بعض الأقاليم التي ذكرها بعض الجغرافيين العرب وهي حضرموت ومهرة وعمُان (5)

1- القســـــم الأول (الحجاز): هو الجزء الشمالي من غرب الجزيرة العربية غربي جبال السراة، ويمتد من المدينة المنورة وما يليها شمالا إلي حدود بلاد الشام، ويحتوي

علي مراكز ومدن عمرانية مثل خيبر وفدك وتيما وأم القري ومدائن صالح وإقليم حسمه ومقنا (6) ، ويحتوي هذا الإقليم علي عدد من الأودية مثل " أضم والعقيق ووادي القري والصفراء " ويعتبر وادي القري من أهم اودية هذا الإقليم ويقع بالقرب من المدينة المنورة ويمر من خلاله طريق القوافل القديم من سبأ باليمن إلي الشام والذي كان شريانا من شرايين الحركة التجارية في العالم القديم (7)

2- القسم الثاني (تهامة) : وهو استمرار للجانب الغربي للجزيرة العربية حتي شمال اليمن ويدخل فيها إقليم عسير ويضم السهول والمنخفضات الساحلية علي البحر الأحمر ويستمر في التمدد بمحاذاة جبال السراة (8) ، ويتألف تهامة من عدة تهائم ، تمتد شمالا حتي حدود مكة وجنوبا حتي حدود صنعاء (9) ، ويحتوي هذا الإقليم علي عدد من الموانئ الهامة التي تعتبر متنفسا للأقاليم الداخلية وحلقة وصل بينها وبين العالم الخارجي، مثل ميناء " حردة " في الجنوب ، وجدة والشعيبة (10) التي كانت عامرة بالتجارة ، كما يتميز هذا الإقليم بسهولة الحركة فيه لكثرة أوديته التي تستخدم طرقا للتجارة ، وقد استخدمت هذه الطرق لقوافل الحج القادمة الي مكة والمدينة (11)

3- القســـم الثالث (نجد) : وهي المنطقة الممتدة من نفود الدهناء غربا إلي أطراف جبال الحجاز الشرقية، ومن ناحية الشمال تبدأ من النفود الكبري وتمتد صوب الجنوب إلي اطراف الربع الخالي ،وهي أوسع أقاليم الجزيرة (12)

وقسم الجغرافيون هذا الإقليم إلى نجدين وهما (نجد العالية) وهي الواقعة بين الحجاز وتهامة (ونجد السفلي) وهي التي توالي أرض العراق ، ويجري في إقليم نجد عدد من الاودية منها وادي " الرمة ووادي الدواسر " وبها جبلان مشهوران وهم " أجا وسلمي " المنسوبان إلي قبيلة طيء ، وعلي سطح جبل سلمي تقع بلدة فيد القريبة علي طريق حجاج بلاد العراق **(13)**

4- القسم الرابع (العروض): أشـار الجغرافيون أن العروض هـي بلاد اليمامة والبحرين وما ولاهما ، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها تعترض اليمن ونجـــد والعراق والبحرين (14) ، واشتهر هذا الإقليم بكثرة مياهه من العيـــون الجارية والبحيرات الرّاكدة ، ومن أهم واحاته القطيف والأحساء (15) التي تعرف فيما ســـبق بمدينة :" هجر "(16) ، ومن أهم مناطق العروض هي اليمامة " نسبة إلي زرقاء اليمامة " ، والتي كانت قاعدتها تسمي فيما سبق باسم "حجر"(17)، ولليمامة تاريخ طويل ومزدهر ويرجع ذلك لموقعها الجغرافي المتوسط بين اليمن والعراق من ناحية وبين الحجاز والبحرين من ناحية أخري، فجعلها هذا الموقع الممتاز ملتقي القوافل التجارية من اطراف الجزيرة العربية (18)

5- القسم الخامس (اليمن) : وأشار إليها الجغرافيون العرب بأنها المنطقة الواسعة الممتدة حدودها من تهامة إلى العروض ، وتمتد علي طول المحيط الهندي ويحدها البحر الأحمر من ناحية الغرب والحجاز من الشمال (19) ويعرف هذا الإقليم باتساع أرجائه فهو يتكون من عدة أقسام أهمها اليمن وحضر موت وشحر " ظفار " وعمُان ، وتنفرد شحر من هذه الأقسام بإنتاج البخور (20)، وأطلق الإغريق على بلاد اليمن " ببلاد العرب السعيدة واليمن الخضراء "، ويرجع ازدهار اليمن وخصبها إلي الجبال التي تقع في داخلها والتي تصد الرياح الموسمية فتهطل الأمطار التي تجعل أرض اليمن خصبة تجود بالكثير من الحاصلات الزراعية والفواكه (21) ومن أهم مدن اليمن " صنعاء " التي كانت من أحسن البلدان العربية مساكن وأطيبها هواء ، حسنة الأسواق واسعة التجارة (22).

هذه هي الأقسام الخمسة التي ذكرها أغلب الجغرافيين العرب، والتي أشاروا أنها تتبعها ثلاث أقاليم مهمة، وهي : (حضرموت - ومهرة - وعمُان) .

1- **الإقليم الأول - (حضر موت)** : وهو الإقليم الواقع شرقي اليمن وحوله رمال كثيرة تعرف " بالأحقاف " ، وتتألف من جبال صخرية جرداء تشقها أودية فسيحة منبسطة متصلة بالبحر، وعلى امتداد أودية حضر موت نشأت المزارع الواسعة التي تزرع بها كافة الحبوب (23) وترجع أهمية حضر موت بسبب موقعها الجغرافي الهام في مختلف العصور حيث كانت فيها تنظم خطوط القوافل التجارية إلى سائر أنحاء الجزيرة العربية (24)

2- **الإقليم الثاني (مهـــرة) :** وتعرف قديماً " بالشحر " وتقع مهرة هذه إلي الشرق من بلاد اليمن علي ساحل بحر العرب ويحدها غربا حضر موت وشرقا سلطنة عمُان وجنوبا بحر العرب وشمالا المناهل من حضر موت، وطبيعة أرضها رملية تتألف من سهول تمتد الي ساحل بحر العرب وسلاسل جبلية سماها الجغرافيين "الشحر" واشتهرت مهرة بإنتاج البخور والصموغ كما ينسب إليها العنبر الشحري(25)

3- **الإقليم الثالث (عُمان):** يقع إقليم عمُان في أقصي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية، وتلتف حولها مياه المحيط الهندي وخليج عمُان ، وتكمل الصحراء العربية حركة الالتفاف حوله من الجهة الغربية فهو بهذا الموقع احتل مركزاً هاماً بالنسبة للطرق الموصلة إلي الهند وإفريقية والبحر الأحمر(26) ، وكان هذا الإقليم في تقسيم العرب لجزيرتهم ينسب لإقليم اليمن مرة وإقليم العروض أحياناً أخري، وتنقسم طبيعة اقليم عمُان إلي قسمين :

القسم الأول السهول الساحلية: وهي سهول ساحلية واسعة تطل علي خليج عمُان إلى

الشمال من مسقط وهي سهول خصبة تكثر فيها أشجار النخيل والموز والرومان وغيرها.

القسم الثاني المنطقة الجبلية : وهي مقاطعة فسيحة تضم الجبل الأخضر وكثير من الغابات والأودية والواحات الخصبة وبها عدد من المدن الهامة مثل " الرستاق - ونزوي - وسمايل " ومن أهم مناطق هذا القسم الجبلي منطقة الطاهرة العامرة بالواحات والأودية التي تعتبر من أهم مصادر المياه في الصحراء (27)

وكان سكان هذا الإقليم " العمانيون " من الشعوب البحرية ، فقد نبغ منهم المعلمون المهرة في الملاحة وركوب البحر منذ القدم ، وازدهرت أهم مدن هذا الإقليم " صحار ودبا " والتي كانتا من أهم الأسواق التجارية في الجاهلية **(28)**

هذه هي أهم التحديدات الجغرافية للجزيرة العربية والتي أوضحت لنا أهمية الموقع الجغرافي التي تمتعت به ، وبخاصة عندما بدأت الصراعات تتزايد حول طرق التجارة بين دولتي " الروم والفرس" في الجزيرة العربية من ناحيتي الشمال والجنوب **(29)** فانتهزت قبيلة قريش هذه الفرصة لتقوم باحتكار هذا الموقع الهام لصالحها في نشاط التجارة العالمية في تلك الفترة ، وعملت كوسيط تجاري لنقل المنتجات التجارية الشرقية من الجزيرة إلي المناطق الغربية من أسيا وأوروبا وخاصة الدولة البيزنطية ، والتي كانت بحاجة إلي السلع الشرقية المتمثلة في البخور والعطور والحرير والتوابل ، وأخذت هذه التجارة تزدهر شيئا فشيئا حتي أصبحت من التجارات التي لا منافس لها في المنطقة بتنظيمها وقوافلها **(30)**

ولكن هذه التحديدات الجغرافية للجزيرة العربية الدالة علي الموقع الجغرافي الهام والتي ذكرتها كتب الجغرافيين العرب نجدها تخدم الفترة الممتدة قبل الإسلام وهي فترة انتعاش التجارة المكية التي عرفت في الجاهلية وقبل الإسلام برحلتي (الشتاء والصيف) أما بعد الإسلام فإن هذه الحدود المذكورة قد تلاشت باتساع الدولة الإسلامية ، مما أدي علي الصعيد السياسي إلي نشوء دولة فسيحة الأرجاء متمثلة في دولة المدينة والتي توسعت حدودها السياسية وازدهر نظامها الاقتصادي ، والذي لعب دوراً هاماً ساهم في ظهور طرق تجارية جديدة لدولة المدينة حلت محل التجارة المكية ، هذا بالإضافة إلي تطور المدن التي دخلت بتبعيتها لدولة المدينة والتي أخذت مكانة مكة في تنظيم التجارة الإسلامية **(31)**

ثانياً ـ دور قبيلة قريش في ازدهار التجارة العالمية وتنظيم الأسواق التجارية في الجزيرة العربية خلال عصر الجاهلية:

أشرنا فيما سبق أن الموقع الجغرافي الذي تمتعت به الجزيرة العربية وماله من أثر في ازدهار التجارة العالمية الرائجة خلال تلك الفترة بين بلاد جنوب أسيا وشرقيها من ناحية ، وبين بلدان حوض البحر المتوسط من ناحية أخري (32) فقد كان لهذا الموقع دوره في قيام الصراع بين امبراطوريتي الفرس والروم ، والتي سعت كل منهما جاهدة في بسط سيطرتها علي هذا الموقع التجاري الممتاز واحتكار تلك التجارة الرائجة لصالحها ، وبخاصة تجارة الحرير والتي كانت سبباً في النزاع العسكري بين هاتين الدولتين (33) وقد سبب النزاع المسلح بينهما في قفل طريق التجارة المارة بين بلاد العراق ومدن الشام ، هذا بالإضافة أن الطريق التجاري عبر البحر الأحمر قد خلا من سفن دولة الروم تماماً ، ولم تستطع البحرية الحبشية في بلاد اليمن من سد الفراغ في هذا البحر لصالح حلفاؤها الرومان ، بسبب ضعف دولة الأحباش وصعوبة الملاحة فيه مع وتواجد سفن القراصنة ، فأصبح الطريق الوحيد المفتوح لاستمرار التجارة العالمية في تلك الفترة هو الطريق البري الممتد عبر " تهامة ـ والحجاز " ، ولكن بعد زوال النشاط اليمني كان لابد من ظهور من يقوم بهذا الدور كوسيط لسد الفراغ وليقوم بدور الوسيط والمحايد بين المتنازعين لنقل هذه التجارة التي كانت سبباً في الحروب بين الفرس والروم (34)

وقد قامت بهذا الدور المحايد (قبيلة قريش) بعد أن استقرت في مكة في منتصف القرن الخامس الميلادي ، ونجحوا في الميدان التجاري وسيطروا علي طريق التجارة من اليمن إلي البحر المتوسط (35) وهو ما يعرف بتجارة رحلتي الشتاء والصيف والتي تقوم علي التبادل التجاري بين الشمال والجنوب (36)

وكان الفضل في هذا النجاح راجع في البداية " لقصي بن كلاب " زعيم قبيلة قريش الأكبر بعد حروب خاضها مع بقية بطون كنانة ، وتمكن بعدها من انتزاع الرئاسة في مكة من ايدي الخزاعيين ، وعمل بعدها علي كسب ود القبائل العربية الضاربة في تهامة وعقد معها الأحلاف ، كما اعتني بالكعبة ونظم شؤون قبيلته قريش وأنشأ لهم دار الندوة ، وهو ما زاد من احترامه في قلوب العرب ، ومن ثم جاء من بعده ابنه " عبد مناف " والذي أكمل الدور السياسي من بعد أبيه في مكة وما جاورها (37) ليتم المهمة من بعده ابنه " هاشم ابن عبد مناف " والذي يعتبر هو المنظم الحقيقي للتجارة القريشية المكية التي ازدهرت بها الجزيرة العربية في ذلك الوقت (38)

فقد عرف هاشم ما لمكة من مكانة في قلوب العرب ، فسعي لاجتذابهم إلي بيت الله الحرام والعمل معهم في جعل مكة مركزاً تجارياً هاماً في الجزيرة العربية ، وبين لهؤلاء العرب أهمية موقعها التجاري الواقع بين تجارة الشام واليمن والعراق ، والذي يجب عليهم جميعاً تأمينه وتامين القوافل المارة من خلاله ، وما له من نفع ودور فيما بعد في انعاش التجارة العالمية في تلك الفترة ، وبخاصة أن الحروب بين الفرس والروم كانت علي أشدها للسيطرة علي طرق تلك التجارة (39) وبما أن هذه الحروب قد تسببت في توقف تجارة منتجات أسيا وافريقيا المتجهة إلي الشام واوروبا ، حيث أشارت النصوص أن " هاشماً " استغل هذه الاحداث وعرض خلال تجارته في بلاد الشام علي تجار الروم أن يتولى هو وقومه من قريش في جلب تجارة المنتجات الأسيوية من " الصين والهند " وكذلك تجارة افريقيا القادمة من الحبشة إليهم أن هم منحوه التسهيلات التجارية التي تساعده علي ذلك ، وبالفعل تحصل هاشم من رجال دولة الروم في بلاد الشام علي الاذن بدخولها والمتاجرة فيها ودعم أسواقها بكل أصناف المنتجات الأسيوية والافريقية والتي امتنع وصولها أليهم بسبب النزاع مع الفرس ، حيث وفر لهم كل ما تحتاج إليه متاجر بلاد الشام من منتجات أسيا وافريقيا "كالمسك والصندل والمر واللبان والتوابل والعطور والذهب والاحجار الكريمة والعاج والبخور" والتي كانت كمواد أسياسية وضرورية تستخدم لطقوس العبادات والكنائس ، إضافة الي توفير ما تعود الروم علي استعماله من البضائع الاسيوية كالحرير والسيوف والمصنوعات النحاسية (40) كما عمل علي نقل تجارة الشام إلي مكة وبلاد اليمن وتوفير كل ما تحتاجه متاجرها من السلع الشامية " كالخمر والقمح والدقيق والزيت " الذي يعتبر من أعظم السلع التي تنتجها بلاد الشام (41)

وبهذا الاتفاق تمكن هاشم من تنظيم امور التجارة وأخذت هذه الاتفاقات صورة لتصريح مكتوب لدخول بلاد الشام والمتاجرة فيها أما لحسابه او لحساب رجال الروم ، وهذا التصريح المكتوب سمي " بالعصم " (42) والتي تحصل عليها هاشم وهو ورجال قومه من قريش ، وكما عمد هاشم الي بعث أخوته " عبد شمس إلي بلاد الحبشة ، ونوفل إلي اليمن ، والمطلب إلي بلاد فارس " وحصل كل منهما علي نفس العصم للبيع والمتاجرة من حكامها (43)

بعد هذه الاتفاقات اتجه هاشم للاتفاق مع القبائل النازلة علي الطرق التجارية المؤدية إلي بلاد الشام وبلاد الفرس واليمن والحبشة وعقد معهم اتفاقيات تبيح له ولقومه المرور بأرض تلك القبائل دون دفع اتاوات كبيرة وفي مقابل ذلك تقوم قريش بكل الأعمال التجارية اللازمة لهذه القبائل فتأتيهم بما يلزمهم من البضائع التي لا

تستغني عنها قبيلة من قبائل الصحراء مثل " المواعين والآنية والسيوف وقرابص الخيل وأدوات ركوبها والأقواس والأسهم والحرير والعطور، كما تقوم قريش بحمل منتجات هذه القبائل المحلية التي تريد بيعها " كالتمور والصوف وبعض المعادن والأعشاب الطبية والأنعام والمواشي " وغيرها (44) كما كان من ضمن الاتفاق التصاهر معهم ودعوتهم لمكة وإعطاؤهم الهدايا والحفاوة وإرضاء بعض رؤساء هذه القبائل بتعيينهم أمراء علي القوافل التجارية ، وقد عرف هذا الاتفاق " بالإيلاف "(45) الذي وضع قواعد وأصول لمرور قوافل مكة التجارية في كل الأيام والمواسم بأمن وسلام (46) وهذا الإيلاف ورد ذكره في القران الكريم (47)

وعليه : استطاع بنو مناف تحقيق هدف قومهم بالحصول علي العصم من الدول المجاورة والإيلاف من القبائل العربية لتبدا رحلاتهم التجارية تنتظم إلي تلك الدول، وهم بذلك اضافوا إلي أعمالهم تنظيم التجارة العالمية في كافة ربوع الجزيرة العربية والتي أصبحت لها أسواقها ومسالكها وطروقها المعروفة بين الدول المجاورة ، وهو ما أدخل علي مكة والعرب الثراء الطائل الذي اشتهروا به بين الأمم المجاورة (48) فهم بهذا الإنجاز نقلوا تجارة مكة المحدودة إلي تجارة إقليمية تمول الجزيرة العربية كلها والبلاد المجاورة لها من خلال أسواق الشام (كدمشق وبصري – وغزة) (49) وأسواق اليمن (كحضرموت – وصنعاء) (50)، وهو إنجاز ليس بقليل إذ فتحت أمام تجارتهم أسواق الممالك الأربعة " الشام والفرس واليمن والحبشة " واستمرت حتي مجيء الإسلام (51)

وقد أسهم في ازدهار التجارة القريشية هذه " موسم الحج المنعقد في الأشهر الحرم " ، فهو فرض إلهي معترف به ويمارس منذ زمن بعيد ، حيث يأتي إليه الناس من كل فج عميق في أشهر معلومات (52) للحج والتجارة ، وتقام في هذا الموسم أسواقهم التجارية الثلاث (عكاظ – ومجنة – وذو المجاز) (53) والتي كانت تقصدها العرب من جميع أطراف الجزيرة العربية فتكون لهم بذلك الحج والتجارة (54) هذا بالإضافة إلي الأسواق العالمية التي كانت تقصدها قريش في اليمن كصنعاء وحضر موت وفي الشام كبصري ودمشق وغزة (55)

ولم تكن تجارة القوافل القرشية في الجاهلية حكراً على أحد؛ بل تجارة مدنية أسهم فيها الذكور والإناث من بطون قريش ، إذ لم تكن خاصة بالرجال دون النساء فنجد النساء القريشيات الثريات اشتغلن بالتجارة المكة إلي جانب الرجال في تجارة رحلتي " الشتاء والصيف" ومن بينهن السيدة خديجة بنت خويلد ، وأم أبي جهل والاتي كنا يستأجرن الرجال ليقوموا نيابةً عنهن بالمتاجرة في موسم التجارة خلال الرحلتين (56)

واعتمدت القوافل المكية في تجارتها علي ثلاثة مسالك وطرق قديمة أسهمت في نجاحها وازدهارها عرفت اثنتان منهما بطريق رحلتي الشتاء والصيف، والثالثة(57) هي طريق الحيرة ومكة

والطريق الأولى: هي طريق التجارة الشتوية بين (مكة واليمن) والتي كانت تسلكها قريش في قوافل كبيرة محملة ببضائع الشام قاصدة أسواق صنعاء وحضر موت والتي تسير إليها عبر طريقين إحداهما ساحلي والآخر بري ، لتعود منها محملة قوافلها ببضائع اليمن وإفريقيا والهند والصين من أسواق اليمن العامرة والتي تنقلها فيما بعد عبر تجارة الصيف إلي مكة ومن ثم إلي أسواق بلاد الشام **(58)**

الطريق الثانيـــة: هي طريق التجارة الصيفية بين (مكة وبلاد الشام) والتي كانت قريش تسلكها في قوافل كبيرة محملة ببضائع مختلفة من التجارة الشرقية من اسواق اليمن ، والتي تعهدت قريش بتوصيلها إلي أسواق الشام في موعدها خلال فصل الصيف ، وتعرف بطريق الجادة ويسلكونها قاصدين أسواق الشام التجارية " كدمشق - وبصري – وغزة " وغيرها **(59)**

الطريق الثالث: فهو الطريق التجارية بين بلاد العراق " الحيرة " ومكة ، والتي تسير فيها القوافل التجارية بين أسواق الحيرة **(60)** وأسواق مكة، وهذه الطريق هي الموصلة لتجارة قريش إلي القسم الشرقي للجزيرة العربية المعروفة بطريق تجارة الحيرة، وتعرف بطريق " اللطائم "**(61)** فقد لعبت الحيرة منذ قديم الزمن دور الوسيط بين الفرس وجزيرة العرب **(62)** حيث كانت تحمل إليها تجارة الفرس وتباع في أسواقها وكان أهل الحيرة هم القائمون بحماية هذه التجارة عند مرورها إلي الجزيرة العربية ، قاصدة أسواق الحيرة ومن ثم تتجه إلي أسواق مكة عبر تجارة قوافل قريش **(63)** وقد استفادت قريش من هذه الصفقات التجارية التي تحصلت عليها من خـــلال الاتفاق التجاري مع الروم والفرس واليمن والحبشة، والتي عادت عليهم وعلى مكة والجزيرة العربية بالنفع والثراء الطائل إلى مجيء الإسلام **(64)** ، وكانت العملة المتداولة في تجارتهم في الجاهلية هي الدينار البيزنطي "دنانير هرقل " ودراهم فارس وهذه العملات كانت ترد مع القوافل التجارية خلال رحلتي الشتاء والصيف **(65)**.

ثالثاً ـ مراحل ازدهار التجارة الإسلامية وأسواقها التجارية في الجزيرة العربية خلال الحقبة النبوية:

ولد الرسول ﷺ ونشأ في ظل مجتمع قريشي اشتهر في الجاهلية بحركة التجارة وعمل على ازدهارها، وعمل الرسول ﷺ منذُ نعومة اظفاره في حركة التجارة، وكانت

البدايات الأولى له في هذا المجتمع التجاري في سن مبكرة، حيث سافر مع عمه أبي طالب وهو في سن الثانية عشرة إلي الشام للتاجرة ولمساعدته في تنظيم تلك الرحلة، وليتعلم منه صنعة أبيه وأجداده في هذا المنوال (66).

وقد أدّى اشتغاله بالتجارة وما عرف عنه من خصال كالصدق والامانة واللتين كانتا شعاراً له منذُ نعومة أظفاره إلي معرفته بالسيدة خديجة ﷺ، والتي أنفذته في تجارة لها إلى الشام وهو في سن الخامسة والعشرين، فربحت تجارتها ضعف ما كانت تربح قبل ذلك، فضاعفت له الأجر ، وارتضت أن يكون زوجها لصدقه وامانته رغم رفضها لسادة قريش وأشرافها ، وكانت بزواجها منه أول من أمنت به من النساء (67)، وكانت لهذه المراحل دور مهم لمعرفة الرسول ﷺ بالتجارة ودورها الاقتصادي والطرق التجارية التي تسير بها قوافل قريش الذاهبة إلي الشام كما اتسعت معرفته ﷺ من خلال السفرتين بأحوال بلاد الشام وطرق التعامل واخلاق الناس ومظاهر الحياة في تلك البيئة الرومانية (68)؛ ولكن بنزول الوحي عليه وهو في سن الأربعين وتبشيره بالنبوة وبدين الإسلام بدأت مرحلة جديدة في حياته من خلال دعوة الناس جميعاً للخروج من معتقدات الجاهلية السائدة في تلك الفترة وعبادة الله وحده لا شريك له (69)، وكانت البداية بقومه قريش، ولكن هذه الدعوة رفضت من عامة بطون قريش وأسيادها رغم إسلام البعض منهم كابي بكر وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وال ياسر وغيرهم، بل وعملت أغلب بطون قريش علي محاربة دعوته وقتل اصحابه المستضعفين.

الهجرة النبوية إلي يثرب وتغيير تنظيمها السياسي والاقتصادي.

في الوقت الذي كان فيه الرسول ﷺ يمر بأزمة في مكة بعدم استجابة قومه قريش لدعوته ، تهيأت له الظروف لتتقبل مدينة يثرب (70) وسكانها من "الاوس والخزرج" بدعوته بالدخول في الإسلام، لإنهاء مرحلة الصراع السياسي الذي كان قائماً بينهما منذ زمن بعيد ، وكانت البداية بإسلام عدد من رجالهما الذين تعاقدوا معه في بيعة سميت "ببيعة العقبة الأولي " (71) وبعد هذه البيعة هاجر النبيﷺ وأصحابه إلي يثرب والتي سماها عند دخولها بالمدينة المنورة ، وبالهجرة إليها بدأ دور جديد في حياة الدعوة الإسلامية بل وفي حياة المدينة والمسلمين والأمة العربية جميعاً (72) حيث كانت يثرب قبل الهجرة من أهم المدن الحجازية التي تقع علي الطرق التجارية للتجارة القريشية بين بلاد الشام ومكة (73) فكانت سوقاً رائجة للتجارة الداخلية بين أقاليم تهامة ونجد والحجاز، وتقام بها العديد من الأسواق التي يقصدها البدو العرب واليهود بكل المنتجات الزراعية والصناعات، والتي تقام في بطحان " كسوق بني

قينقاع " التي تعد سوقاً رائجة لبيع الحلي التي مهر يهود بني قينقاع في صناعتها ، وسوق " زبالة - وقباء – والبقيع" (74) ، كما كانت لها علاقات تجارية في الجاهلية وقبل الهجرة النبوية مع حكومة مكة ، فكان تجارها يتعاملون مع قوافل مكة ويشاركون قريش في اسواقها أثناء موسم الحج ، فيبيعون فيها ويشترون منها ما تحتاجه أسواق المدينة من السلع الضرورية (75).

ومما هو جدير بالذكر: أنه لم تكن هناك رقابة في الجاهلية مفروضة علي البيع والشراء وتنظيم التعامل في اسواق الجزيرة كلها قبل الإسلام ، فكان لغياب الرقابة دور محوري في كثرة الغشاشين وازداد التعامل بالربا في المعاملات التجارية (76).

وظلت هذه الحالة إلي أن جاء الرسول ﷺ القرشي ، وصحح هذه الأوضاع الغير صالحة في المدينة بعد الهجرة من خلال تشريعات منزلة من السماء لكي ينقذ بها البشرية من الضلال التي ظلت قروناً من الزمان تسيطر علي عقول الناس في الجزيرة العربية (77).

فبعد الهجرة النبوية للمدينة كون فيها ﷺ أول نواة لدولة وحكومة إسلامية أهتمت بدعم النشاط الاقتصادي كالتجارة والتي أشتغل بها عدد من الصحابة كأبي بكر وعثمان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والعباس بن عبد المطلب وغيرهم والذين كانوا من أهل البيع والشراء وأصحاب لأكبر القوافل التجارية (78) .

ونظرا لأهمية التجارة في بناء الأمم ودعم اقتصادها فقد حث الإسلام عليها ورغب بالعمل فيها وجعل ممارستها في إطار النظم الإسلامية التي لا تبيح أكل اموال الناس بالباطل من أفضل أسباب كسب المال الحلال (79) لقوله – تعالى - : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ (80)

حيث استطاع النبي ﷺ في فترة قصيرة القضاء علي ما يضر الناس من تعاملهم في أمور البيع والشراء ، ثم نظم التجارة ذاتها بأن وضع لها الأصول الأخلاقية التي تحرص علي الروابط بين الناس وتحافظ علي الوشائج الأخوية بين بعضهم البعض ، فامر النبي ﷺ أصحابه بالسهولة والتيسير والسماحة في البيع والشراء والتقاضي والصدق في المعاملة والتجارة ونص علي كتابة العقود في البيع والشراء وإدراج الشهود (81)

فبعد أن وضع الإسلام أسس التجارة الإسلامية بين المسلمين، قامت هذه الأمة برعاية النبي ﷺ وأصحابه علي مراقبتها وتنظيمها، فحض النبي أصحابه على التجارة

لما فيها من منافع جمة خاصة من ناحية الكسب والثراء ، فقال النبي لأصحابه : (**تسعة أعشار الرزق في التجارة والعشر الباقي في سائر الأعمال**) (82).

ثم بدأت هذه التجارة تظهر شيئاً فشيئاً وتأخذ طريقها إلي نفوس البدو الذيم كانوا يفدون بما لديهم من سلع إلي أسوق المسلمين في المدينة، وأخذ المسلمين يزاولون التجارة الداخلية وبخاصة المهاجرين الذين أضافوا خبرتهم التجارية إلي حركة التنظيم الجديد في الاقتصاد الإسلامي " التجارة الإسلامية " ، وبهذه الحركة التجارية في المدينة جني المسلمون ثروات كثيرة بدأت واضحة مع الايام ، وتجلي ذلك في مساهمة التجار المسلمون بثرواتهم في دعم المشاريع الإسلامية نظراً للتوسع الإسلامي في الجزيرة العربية ، ومن هؤلاء التجار عثمان بن عفان ﷺ والذي أسهم في دعم هذه المشاريع الإسلامية في المدينة ، ومنها تجهيز جيش تبوك ودعم جيش العسرة **(83)** وعبد الرحمن بن عوف ﷺ والذي جمع من مالا طائلا من تجارته وساهم في دعم المشاريع الإسلامية فكان في عهد الرسول ﷺ يتصدق بماله لمساعدة الفقراء، واشتراء في احدي معارك المسلمين خمسمائة ناقة وخمسمائة فرس **(84)** وغيرهم الكثير من تجار المسلمين ممن اشتغلوا بالتجارة

سياسة دولة المدينة في حصار التجارة المكية وبعث المغازي .

بعد الهجرة النبوية للمدينة وتنظيمه لشؤون سكانها من خلال وضع دستور عرف " بدستور المدينة " (85) ودعم أنشطتها التجارية ، أتجه النبي ﷺ للعمل علي سياسة جديدة تمثلت في الضغط علي تجارة قريش إلي الشام ، حيث بادر ﷺ إلي استئلاف القبائل العربية القاطنة علي حدود المدينة وبالأخص تلك القبائل النازلة علي طريق التجارة القريشية القاصدة للجهة الشمالية من الجزيرة العربية إلي الشام ، من خلال دعوتها هي ايضاً إلي دين الإسلام ، واستهدف النبي ﷺ من هذه الخطوة أولا : حماية دولة المدينة من عدوان هذه القبائل التي كانت في حلف مع قريش ، وثانيا : لتأمين الزاد والمؤونة للمدينة من الأرياف والأماكن الأخرى وخاصة أن المدينة لا تستطيع أن تعتمد علي نفسها في توفيرها بعد أن أصبحت حاضرة للمسلمين جميعاً (86) وثالثا : الضغط علي تجارة مكة المتجهة إلي الشام ، حيث بدأت قريش تخاف علي مصالحها التجارية وخاصة تجارتها المتجهة إلي شمال الجزيرة العربية ، وخاصة بعدما شهدوا جدية النبي ﷺ في بعث المغازي لتلك المناطق ، بل وشاهدوا دخول عدد من قبائل تلك المناطق والتي كانت فيما مضي حليفة معهم ، في تحالف سياسي جديد مع دولة المدينة (87). فقد كانت مهمة هذه التحالفات وغزوات الرسول ﷺ والتي كانت بدايتها غزوة (سرية عبد الله بن جحش) هي أجبار قريش علي دخول الإسلام ، أو منع تجارتها

نهائياً من المرور في أراضي الدولة الإسلامية الناشئة للحفاظ علي حدودها (88) ، وذلك حسبما ورد في نصوص دستور المدينة الذي يقول : " أنه لا تُجار قريش ولا من نصرها " (89).

وبهذا أراد الرسول ﷺ أن يعلم قريش ومن يشترك في تجارتها من القبائل العربية المجاورة للمدينة أن حدودها محروسة وأن سيادة أراضيها لابد وأن تحترم ، وأن هم يريدون الخير لمصالحهم فيجب عليهم الاعتراف بهذه الدولة والاتفاق معها حسبما ورد في نص الصحيفة **(90)** كما كان يريد أن يشعرهم بقوة الجماعة الإسلامية وتصميمها علي المحافظة علي كيانها وسيادتها فبهذه السياسة الحكيمة**(91)** تضمنت المغازي مهمة تهديد تجارة قريش الذاهبة إلي الشام والعراق واجبار قريش علي تغير سياستها المنطوية علي العدوان للنبي ﷺ وللمسلمين في يثرب، وأن تترك الحرية للمسلمين الذين حبستهم في مكة ، وأن تترك المجال للدعوة الاسلامية في الجزيرة بين القبائل لتأخذ مجالها الحر دون مناوأة او حرب **(92)**.

وعندما أحست قريش أن الرسول ﷺ والمسلمين بهذه الأفعال يمكنهم أن يدمروا اقتصادهم، فحاولت كسر هذا الحصار معتمدة علي قوتها ومركزها الأدبي بين القبائل العربية وعملت علي تيسير قوافلها التجارية إلي الشام وبالقرب من حدود المدينة الإسلامية منتهكين حدودها في السنة الثانية للهجرة ، فخرج الرسول بقواته لمصادرتها ، فخرجت قريش لنجدة قوافلها ، فوقعت بين الطرفين غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة والتي انتهت بهزيمة قريش رغم نجاة القافلة **(93)** ومن هنا يتضح أن السبب الرئيسي في هذا اللقاء بين حكومة مكة وحكومة المدينة كان تجارياً حيث حاولت قريش فتح باب التجارة مع الشام وكسر حصار حكومة المدينة **(94)**.

بعد هذه الغزوة اتبع الرسول سياسة جديدة اتجاه التجارة المكية وهي أن يترصد لقوافلها في القطاع الشمالي من الجزيرة العربية وأوقف خط سيرها علي طريق الجادة وهو الطريق الرئيسي لتجارة مكة الي الشام ، بعد أن دخلت الكثير من القبائل التي كانت في حلف مع قريش في تحالف مع حكومة المدينة ، وبهذه السياسة لم تجرؤا قريش وحلفاءها علي مواصلة التجارة إلي بلاد الشام **(95)**.

فعمدت قريش علي إثارة الفتن ضد حكومة المدينة الإسلامية التي يقودها النبي ﷺوبمساعدة اليهود القاطنين بها ، كما شنت الهجمات الحربية علي المدينة نفسها في محاولة منها لفك حصار المسلمين الاقتصادي علي تجارتهم نحو بلاد الشام ، فكانت واقعة أحد في السنة الثالثة للهجرة رغم خسارة المسلمين فيها **(96).**

ومن بعدها توالت الاحداث ضد حكومة المدينة والتي جرت بعد واقعة أحد وقبل واقعة الأحزاب " والتي ساهمت فيها حكومة مكة " قريش " ، ومنها خيانة يهود المدينة وخيبر بنقضهم العهود التي أبرموها مع النبيﷺ فاجلاهم عنهما نظير خيانتهم للمواثيق والعهود المبرمة، وكذلك تكررت حوادث الغدر والاغتيال ضد عدد كبير من الصحابة تعرضوا لها من قبل قبائل نجد حليفة قريش وعرفت بحوادث " بعث الرجيع – وبعث بئر معون **(97)** تبعتها واقعة بدر الثانية " بدر الصفراء " والتي نادي بها ابي سفيان بعد واقعة أحد : " يا محمد الموعد للقتال بيننا وبينكم بعد أحد بدر الصفراء " **(98)**.

فتقدم النبيﷺ بجيشه للقاء قريش في موعدها يوم بدر الصفراء ، ولكن قريش تخلفت فأقام النبي ﷺ في بدر الصفراء لمدة ثمان أيام ينتظرون قدوم قريش ، واستفاد النبيﷺ وأصحابه من انعقاد سوقها المنعقد في هلال ذي القعدة ، فتاجروا فيها فربحت تجارتهم ثم عادوا إلى المدينة ، فكان للمسلمين تجارة في هذه السوق في حين أن قريش وتجارتها لم يكن لها أي وجود **(99)**.

وهنا لابد من الإشارة أن محور الصراع من ناحية حكومة مكة واحلافها من القبائل هي التجارة والتي كانت هي حياتهم ومورد ارزاقهم ، فرغم شنهم للحروب والغزوات كبدر وأحد علي حكومة المدينة وبث الفتن بين سكانها ، إلا أننا نري أن المسلمين هم من يسيطرون علي التجارة وأسواقها وخاصة ما حدث في سوق بدر الصفراء التي أقام فيها المسلمون متاجرهم ولم يكن لقريش وأحلافهم أي وجود .

وبعد عودة النبي ﷺ للمدينة قام بعدد من الأعمال الحربية ضد قبائل بدو نجد لكي يحد من استمرار نشاطهم العدواني وتربصهم بالمسلمين والمدينة من ناحية الشرق وتأمين التجارة الواردة إلى المدينة من " الدقيق والزيت " من الشمال بعد أن كانت تقف بعض القبائل ضدها ، ومن أشهر تلك الغزوات لحكومة المدينة هي غزوتا " ذات الرقاع ودومة الجندل " وكانت البداية بغزوة ذات الرقاع بجنوب الجزيرة ضد القبائل النجدية القاطنة بها والتي غدرت بالمسلمين في بعث الرجيع وبئر معونة ، وبعد أن وطد ﷺ هيبة حكومة المدينة بها اتجه إلي شمال الجزيرة وكان هدفه دومة الجندل التي تقطنها القبائل المتمردة التي كانت تتعرض لطريق التجارة القاصدة بلاد الشام والتي كانت تزود في المدينة بالمنتوجات الشامية " كالزيت والدقيق " وتمكن من تأديبهم وتوطيد سلطانه علي دومة الجندل وسكانها **(100)**.

استطاع الرسول بقيادته الحكيمة أن يمحو اثار هزيمة أحد كما أنه حقق في تلك الفترة مكاسب داخل المدينة وخارجها ، فعلي الصعيد الداخلي : أجلى النبي ﷺ اليهود

من خيبر إلي الابد وكسبت حكومة المدينة ارضاً جديدة اضافها إلي حدود دولته، كما انتعشت الحالة الاقتصادية للمدينة بعد أن غنم المسلمون الاموال الكثيرة من خروج اليهود واستقلوا بالتجارة فيها وسيطروا علي طريق التجارة من المدينة إلي الشمال **(101)**

أما علي الصعيد الخارجي : فإنه ﷺ وصل بأبعاد سياسته إلي أقصي الشمال علي حدود الدولة البيزنطية حيث زاد من نشاطه ضد القبائل العربية التي كانت تقف ضد التجارة الإسلامية إلى المدينة ، كما أنه بين لحكومة مكة من " قريش وحلفائها " أن سلطان حكومة المدينة الإسلامية لم يبق في حدود المدينة بل امتد للمنطقة الشمالية من الجزيرة العربية كلها والتي أصبحت تابعة لهم وكل هذه الاسباب والدوافع**(102)** جعلت قريش وحلفائها من العرب واليهود تتخذ قرارها الجماعي للتخلص من الإسلام والمسلمين والسيطرة علي طرق التجارة إلي الشام ، من خلال هجوم مشترك من هؤلاء الاحزاب علي المدينة المنورة في حلف سمي بحلف الاحزاب (103).

ولكن مكن الله المسلمون بقيادة نبيهم ﷺ من كسر شوكة الاحزاب في هذه الواقعة ، والذين عادوا لبلدانهم مهزومين دون أن يحققوا شيئاً مما كانوا يأملون ، وتأكد النصر لحكومة المدينة وتأكد لها بسط السلطان علي طرق التجارة **(104)**؛ بل أن هذه الاحداث جعلت القبائل في الجزيرة تراجع موقفها بالنسبة لتحالفها مع قبيلة قريش ، ومالت إلي التقرب للقوة الجديدة التي ظهرت في المدينة المنورة والتي استطاعت الصمود امام اعتداءات خصومها ، بل واستطاعت أن توقع بها الهزائم ، بل أنها خرجت من هذه الحروب أكثر صلابة وقوة واتسعت حدودها وبسطت سلطانها علي شمال الجزيرة وشرقها وسيطرت علي طرق تجارتها القاصدة أسواق الشام او العراق **(105)**.

صلح الحديبة أسبابه ونتائجه:

بعد انتصار النبي ﷺ على الأحزاب عـــزم في العام السادس للهجرة لزيارة بيت الله الحرام ودعا المسلمين للتأهب لأداء هذه الشعيرة بعد طول شوق وفراق، ولكن قريش بعد هزائمها حالوا دون دخول النبي ﷺ للحج في مكة في ذاك العام ووقعوا معه الصلح الشهير "صلح الحديبة " ، وذلك عندما رأتْ قريش أنه لا جدوى من حرب المسلمين ؛ لأن قوتها الاقتصادية قد انهارت وافتقرت بسبب وقوف تجارتها في شمال الجزيرة العربية ، من خلال الحصار الذي فرضه النبي -ﷺ- على تجارتهم القاصدة بلاد الشام ، ورأت في الصلح مع النبي- ﷺ - في الحديبة فرصة لتستعيد قوتها التجارية في بلاد الشام **(106)**.

ومعني ذلك: يتضح أن تجارة قريش توقفت تماماً ، وأن الحصار الطويل الذي فرضه النبيﷺ أدّى إلى ضياع التنظيم الذي بنت عليه قريش مجدها التجاري فيما سبق ، فمع توقف طريق التجارة الرئيسي من الشام إلي اليمن توقفت كل الطرق الفرعية المعتمدة عليها ، فلم تعد القبائل في شتي نواحي الجزيرة تعتمد علي قريش في شؤون تجارتها ، ومضت كل قبيلة بترتيب أمورها وتحصل علي ماهي بحاجة إليه من البضائع الخارجية ، في الوقت الذي عرفت فيه حكومة المدينة المنورة كيف تتولى أمور تجارتها بنفسها . ورغم شروط الصلح التي أبرمت إلا أنها لم تجعل لقريش منفذاً وفرصة لخروج تجارتها من جديد إلي حيز الوجود مرة أخري ، بينما وجد النبي ﷺ في شروط الصلح هذه فرصة لدخول القبائل العربية التي ظلت في حيرة من أمرها للإسلام ، بعد أن اعطيت لها حرية الدخول في أي حلف وأي دين تري ، وخاصة بعد الهزائم التي منيت بها حكومة مكة ، فتوجهت انظار هذه القبائل لدخول الاسلام واتباع الدولة الجديدة المتمثلة في " حكومة المدينة المنورة " لكي تنعم بخيرات هذه الدولة والتي أصبحت لها من القوة الاقتصادية والسياسية التي عرفت بها في الجزيرة العربية كلها **(107)**.؛ بل وكانت من فوائد هذا الصلح أنه أتاح للنبي ﷺ ولحكومته في المدينة ان تكمل خطتها في استحواذ المسلمين علي بقية ارجاء الجزيرة وخاصة الجهة الشمالية منها بعد أن بدأت تجارتهم الاسلامية تنمو وتزدهر برحلاتها إلي بلاد الشام، بل واتاح لهم الفرصة في نشر الدين الاسلامي للأمم الأخرى خارج الجزيرة وما حولها **(108)**.

فبعد صلح الحديبية يتضح لنا : أن التجارة المكية لم تعد إلي سابق عهدها لأننا نجد أن أغلب كبار التجار من قريش الذين كانوا ينظمون هذه التجارة قد قتل بعضهم ، كذلك تغيرت الظروف في مكة تغيراً تاماً فدخل للإسلام معظم المكيين ولم تعد لرؤساء الشرك أي مقدرة تمكنهم من إعادة تنظيم التجارة ، وكذلك دخلت الكثير من القبائل التي كانت في حلف مع قريش دخلت إلي الإسلام مثل " قبيلة خزاعة وقبيلة جهينة وبلي عذرة وجذام وتميم وغيرهم " وعندما فتح المسلمون خيبر وفدك ووادي القري وتيماء انتقلت السلطة نهائياً إلي أيدي المسلمين ، ولم يعد في أيدي القرشيين ما يمكن لهم من الاهتمام بالتجارة ؛ ولكن بنود اتفاقية صلح الحديبة لم تستمر طويلا ، فقد نقضت قريش بنود صلح الحديبة ، المتمثلة في أن " من شاء يدخل في عهد محمد دخل فيه ، ومن شاء دخل في عهد قريش دخل فيه" وبمقتضي هذا الشرط دخلت قبيلة خزاعة في حلف النبي ﷺ ودخلت قبيلة بني بكر في حلف قريش وكانت القبيلتان تسكنان أحياء من مكة وضواحيها وبينهما عدوات قديمة ، فقامت بكر بالأغارة علي قبيلة خزاعة لتنتهي بهذه الغارة شروط الصلح المبرمة **(109)**.

فتح مكة وانتهاء التجارة المكية نهائياً:

استغلت قبيلة بني بكر حلفاء قريش هدنة الحديبية وتحركت عندهم الأحقاد القديمة ، فأغاروا ليلا علي خزاعة حلفاء النبي في غفلة ، واستعانوا ببعض السادة وشباب من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل وقتلوا عدداً كبيراً من رجال خزاعة ، فاستغاثت خزاعة بحليفها النبيﷺ في المدينة وقصت عليه احداث اغارة بكر علي حي من أحياء خزاعة وقيام قريش وأحلافها بنقض بنود عهد الحديبية ، وعندها اعلن النبي ﷺ علي مناصرة أحلافه خزاعة وجهز جيوشه ونادي احلافه من العرب لفتح مكة عنوة رداً علي خيانة قريش للمواثيق ونقضها للعهود وتعديها علي أحلافه في مكة (110)، فدخلت قوات المسلمين مكة ، وبدخولهم بها سقط معقل المقاومة الوثنية في جزيرة العرب ضد دولة المسلمين، وعفا الرسولﷺ بدخوله لمكة عن قريش عفواً تاماً ، ويتضح لنا ذلك من خلال خطبته الشهيرة يوم الفتح (111)، فكان لفتح مكة صدًى بعيد الأثر في الجزيرة العربية وبين العالم الخارجي المحيط بها ، كما كان له أثار بعيدة المدي من النواحي الدينية والسياسية والتجارية والاجتماعية حيث سارعت القبائل العربية لدخول الدين الجديد " الإسلام" ، بعد فتح المسلمين لمكة وأوفدت وفودها إلي حكومة المدينة في العام الثامن والتاسع من الهجرة لإعلان إسلامها واتباعها لحكومة المدينة سياسياً ودينياً ، وهو ما يعرف بعام الوفود (112) ، فبعد الفتح انتهت بالفعل التجارة المكية للأسباب التي ذكرناها ولأن أمة الإسلام الجديدة بقيادة النبي ﷺ أدخلت نظماً وتشريعات جديدة علي المعاملات المالية وحرمت كبار المكيين من أساليب جمع المال الحرام التي كانوا قد مهروا فيها قبل الإسلام مثل الربا والنسيء واستخدام الحج للتجارة (113).

النظم التجارية الجديدة التي وضعها النبي للتجارة الإسلامية بعد فتح مكة:

نظم النبي ﷺ بعد حجة الوداع المعاملات التجارية بين المسلمين في معظم بقاع الجزيرة العربية **(114)** ومن أهم تلك التنظيمات حسبما ورد في خطبة حجة الوداع المعاملات في التجارة والمواقيت.

ففي التجارة: حرم الرسول ﷺ الربا وبيع الخمور والغش وأمر بضبط الموازين والمكاييل طبقاً لقوله - تعالى - :﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **(115)**.

أما في المواقيت: فحدد النبي ﷺ شهور السنة إلي أثنا عشر شهراً ، لأن العرب في الجاهلية كانوا يتلاعبون بها حسب أهوائهم لتصبح ثلاثة عشر لكي يغشوا الناس

ويزيدون في نصيبهم من الربا، ولكن بتحديد النبي - صلى ال عليه وسلم - لها ، حددت أشهر الحج ومواقيت رصد الأهلة لتنظيم معاملات الناس علي أساس ثابت ، وهو أمر له أهميته في حياة الناس وخاصة في الشؤون المالية **(116)**.

وبهذا وضع النبي ﷺ أساساً للتوقيت الإسلامي بدلاً من النظام الجاهلي والذي كانت قريش والعرب مقيدون به في الأشهر الحرم ، فقد أعطي الأساس النبوي والإسلامي للمسلمين حرية الحركة في أي يوم من أيام الأسبوع وفي أي شهر من أشهر السنة من خلال قيام الدولة الإسلامية في المدينة بوضع الأسس التي نص عليها دستور المدينة والمتمثلة في نشر الأمن والأمان والاستقرار في كافة ربوع الجزيرة بعد دخول معظم قبائلها للإسلام ، بل ونص علي مهمة الأشراف علي أمان الطرق وقيام حكم الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالعدوان علي أموال الناس والقوافل التجارية سواء كان ذلك في الأشهر الحرم أو غيرها ، وأصبحت الدولة الإسلامية مكلفة بضمان أمان الناس في المدن والأسواق وطرق التجارة والحج في كل وقت وحين ، وبهذه الأسس والقوانين أصبحت التجارة الإسلامية في ظل الحكومة النبوية دائمة ببضائعها وأسواقها بين جميع الأقاليم في كل وقت ، دون أن ينتظر الناس موسم انعقاد أسواق الجزيرة التي كانت فيما مضي تقام في فترات زمنية معينة من السنة كل حسب موقعها وزمن انعقادها (117)

إذاً يتضح لنا : أنه بدخول أغلب القبائل العربية في الجزيرة في هذا الدّين الحنيف كفلت نظمه وتشريعاته للمسلمين وغيرهم حرية التجارة والتحرك في أمن وسلام في كافة الأقاليم التابعة لحكومة دولة المدينة ، سواء كانت داخل الجزيرة العربية أو خارجها في كل وقت وحين، وبذلك أصبحت التجارة في ظل الدولة الإسلامية تجارة نقل واستهلاك واسعة بين المسلمين جميعاً وفي كل وقت وحين ، بل وزاد طلبهم علي السلع والبضائع المختلفة التي احلها الله مثل المنسوجات والحلي والعطور والجواهر والمصنوعات الجلدية والأسلحة وبيع الأنعام والأغنام وغيرها من السلع الكمالية التي لا حصر لها .

وهو ما نجده يختلف تماماً عن نظم التجارة في ظل الحكومة المكية في الجاهلية: والتي كانت سائدة فيما سبق، والتي تبين أنها تجارة نقل بين بعض الأقاليم الشمالية والجنوبية من خلال رحلتي الشتاء والصيف، بل وكانت مكة مخزناً للسلع والبضائع التي كانت تأتي بها القوافل المكية بكميات كبيرة من الشام واليمن والتي يتم استهلاك القليل منها والباقي يصرف في الاسواق التجارية، وفي بعض الاحيان كانت تقوم قريش برحلات فرعية إلي اجزاء من الجزيرة لتصريف هذه البضائع المخزونة **(118)**

علي عكس الدولة الإسلامية والتي أوجدت حلولا للتجار المسلمين للمسير في كل الطرق البرية والبحرية بأمن وأمان، فكثرت بذلك المراكز التجارية التي ساهمت في توزيع السلع والبضائع في الأقاليم الإسلامية دون أن يقوم المسلمين برحلات اضافية كما كان يحصل مع تجارة مكة، وبذلك أصبحت الجزيرة في ظل حكومة المدينة المنورة كلها طرقاً وأسواقا دائمة يأتي إليها المسافرون والتجار والحجاج من كل البلدان وفي كل موسم دون انقطاع ، بل ويجدون فيها كل ما يريدون من السلع والبضائع في أي زمان وأي مكان

إذا يمكننا أن نقول : إنه بعد الفتح الإسلامي لمكة ودخول معظم قبائل شبة الجزيرة في الإسلام ، في الشام والعراق واليمن أصبح المسلمون هم المسيطرون سيطرة تامة علي أهم طرق التجارة العالمية في الجزيرة العربية ، بل وأصبحت التجارة في الجزيرة العربية لا تدار إلا بأيادي التجار المسلمين ، بل وانتعشت التجارة في عهدهم في معظم أنحاء الجزيرة وفق النظم والتشريعات الإسلامية التي وضعها النبي ﷺ وأقر بالعمل بها في كل أيام وأشهر السنة وهذه التشريعات الاقتصادية استمر العمل بها بعد وفاة النبي ﷺ في عصر الخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية وما جاء من بعدها من حقب إسلامية.

الخاتمـــــة:

1- كان للموقع الجغرافي للجزيرة أثره الواضح في توجيه اقتصاد هذه المنطقة إلي التجارة مع المناطق الحضرية في الشام واليمن والحبشة والعراق.

2- كما ساعد المواقع التجاري لمنطقة الحجاز على أن تكون رائدة في المجال التجاري بحيث كانت حلقة الوصل بين اليمن والشام وبلاد فارس وبيزنطة والحبشة.

3- يسر العصم لقبيلة قريش فرصة لإقامة علاقات تجارية مع الدول العظمي المتنافسة على التجارة في ذلك الوقت المتمثلة في دولة الفرس والروم.

4- كما يسر العصم: أن تكون قريش ومكة هي المنظمة لحركة التجارة العالمية في ذلك الوقت.

5- يسر الإيلاف لأهل مكة فرصة لإقامة علاقات تجارية مميزة مع القبائل العربية في الجزيرة لحماية التجارة والعمل بها مع الدول التي أقامت معها اتفاق تجاري عن طريق العصم والمتمثلة في بلاد فارس والشام واليمن والحبشة.

6- كان لازدهار التجارة دوره في كثرة الأسواق التجارية المنتشرة في الجزيرة العربية داخلياً وخارجياً وما لها من دور فعال في ازدهار النشاط التجاري بين مدن الجزيرة العربية جميعها.

7- استخدمت حكومة مكة والمتمثلة في قريش أموال تجارتها في محاربة الدولة الإسلامية القائمة في المدينة المنورة.

8- بعد الهجرة النبوية للمدينة شرع الرسول في وضع دستور شامل عرف بدستور المدينة نظم من خلاله حقوق مختلف سكانها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً، وحدد حقوق الأفراد وواجباتهم لإيجاد تعاون بين جميع السكان على مختلف اطيافهم ودورهم في مواجهة الاخطار الداخلية والخارجية المحدقة بدولة المدينة.

9- أنشأ الرسول بعد الهجرة للمدينة أول سوق إسلامية تجارية تعتمد في البيع والشراء على الأسس الإسلامية التي وردت في دستور المدينة.

10- حظت أسواق المدينة وما حولها بعناية النبي – صلى الله عليه وسلم - واهتمامه، حيث عهدها بالأشراف والمراقبة، ووضع لها آداباً وطهرها من كثير من المعاملات الجاهلية التي حرمها الله كالغش والغبن والتغرير والخداع والاحتكار والربا ، وغيرها من المعاملات التي تؤدي إلي أكل أموال الناس بالباطل .

11- شجع فتح التجارة الإسلامية مع القبائل القاطنة حول المدينة في ازدهار أسواق عاصمة الدولة الإسلامية في عصر الرسول، كما أوجد مراكز تموين لجيش الدولة الإسلامية عند مروره بديار تلك القبائل.

12- فرض الإسلام علي رعايا الدولة الإسلامية مجموعة من التكاليف المالية التي شكلت في مجملها إيرادات الدولة الجديدة ولدعم اقتصادها ودعم المشاريع الإسلامية كتجهيز الجيوش ومساعدة الفقراء.

13- بدأت أموال التجارة ترد على المسلمين في المدينة وذلك نتيجة الانتصارات الحاسمة التي حققها جيش المدينة في عدد من المعارك ضد حكومة مكة او القبائل المجاورة للمدينة.

14- كان الرسول يعلم أن حياة قريش قائمة على رواج التجارة فاستخدم الإجراءات والاساليب كوسائل ضغط على تجارتها متمثلة في بعث السرايا والبعوث لضرب قوافلها التجارية واضعافها في كل مكان في الجزيرة العربية.

15- انتهت التجارة المكة الجاهلية نهائيا بعد الفتح الإسلامي لمكة للتحول التجارة في الجزيرة العربية كلها إلى تجارة إسلامية وفق النظم والشروط التي وضعها النبي بعد فتح مكة وأشارت إليها خطبة الوداع والتي استمرت كبنود قائمة عليها التجارة الإسلامية إلى يومنا هذا.

الهوامـــــــــــش:

1- سعيد بن محمد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، 1974، ص 15، علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1953، ص 195.
2- محمد مبروك نافع، عصر ما قبل الإسلام، مطبعة السعادة، القاهرة، 1952، ص 14.
3- الهمداني، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض، 1974، ص 57، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2، دار صادر، بيروت ، 2010، ص 137.
4- الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ص 57 ، 58.
5- محمد حسين عبد الكريم العمادي ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية ، الاردن ، 1997، ص4.
6- البكري ، جزيرة العرب من كتاب " الممالك والمسالك " تحقيق : عبد الله الغنيم ، منشورات دار ذات السلاسل ، الكويت ، 1977، ص 111.
7- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص 345. ، انظر احمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1965، ص 14 .
8- البكري ، جزيرة العرب ، ص 108.
9- ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979 ، ص 43.
10- الشعبية : وهو مرفأ لمكة ومرسي سفنها قبل جدة ، تبعد عن جدة مقدار مرحلتين يما يقرب من 70 إلي 80 ميلا ، انظر ياقوت الحموي ، البلدان ، ج3، ص 351، واستفادت منه قريش في تجارتها في البحر الأحمر مع بلاد الحبشة وخاصة تجارة الرقيق : ابن هشام ، السيرة النبوية، ج2، تحقيق : مصطفي السقا وإبراهيم الابياري، دار المعرفة ، بيروت ، 1963، ص 345 وما بعدها .
11- البكري ، جزيرة العرب ، ص 110.
12- سعد بن عبد الله بن جنيدل ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية " عالية نجد " منشورات دار اليمامة ، الرياض ، 1979، ص 3.
13- البكري ، جزيرة العرب ، ص 114، انظر ياقوت الحموي ، البلدان ، ج4، ص 282، انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، منشورات دار النهضة العربية ، بيروت ، 1998، ص 90.
14- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص 112.
15- حمد الجاسر ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، دار اليمامة ، الرياض ، 2001، ص 31.
16- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1، ص 112، انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص 91 وما بعدها .
17- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص 442، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص 91 وما بعدها .
18- عبد الله بن محمد خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، 1970، ص 14.
19- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص 447.
20- عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مكتبة النهضة الحديثة ، القاهرة ، 1964، ص 17.
21- محمد بن علي الاكوع ، اليمن الخضراء ، ص 33، محمود شكري الالوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992، ص 205.
22- كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص 17، محمد بن علي الاكوع ، اليمن الخضراء ، ص 127، الالوسي ، بلوغ الأرب ، ج1، ص 205.
23- ياقوت ، معجم البلدان ، ج2، ص 270، محمد عبد القادر بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1973، ص 50.
24- كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص 17، محمد الاكوع ، اليمن الخضراء ، ص 130.
25- محمود طه ، ابو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج1، منشورات مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1975، ص 42.

26- كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، المرجع السابق ، ص 17.
27- سيدة إسماعيل كاشف ، عمُان في فجر الإسلام ، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة العماني ، عمُان ، 1979، ص 9.
28 إبراهيم أحمد ، العدوي ، التاريخ الإسلامي افاقه السياسية وأبعاده الحضارية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1976، 64، كستر ، الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية ، ترجمة : يحيي الجبوري ، مطبعة دنكور ، بغداد ، 1976، ص 8.
29- محمد حسين العمادي ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية ، ص1.
30- محمد حسين العمادي ، نفس المرجع، ص4.
31- سعيد الافغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ص 15، علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص 195.
32- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج7، منشورات دار الساقي ، بيروت ، ط4، 2001، ص ص 281، 282، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، المرجع السابق ، ص 163، علي أبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص ص 51 : 53.
33- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، المرجع السابق ، ص ص 154، 155.
34- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، المرجع السابق ، ص ص 154، 155، السيد أحمد ابو الفضل عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، منشورات دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، 1978، ص 129.
35- البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج1،تحقيق: سهيل زكار ، منشورات دار الفكر ، بيروت ، 2003 ص 59، اليعقوبي ، تاريخه ، ج1، دار صادر ، بيروت ، 2010، ص 242، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 204، 205.
36- اليعقوبي ، تاريخه ، ج1، ص 239، وما بعدها ، انظر الازرقي ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، مكتبة الأسدي ، بيروت ، 2004، ص 106 وما بعدها.
37- عبد الله بن مصعب الزبيري ، نسب قريش ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982، ص 9.
38- سعيد الأفغاني، اسواق العرب ، ص 100 وما بعدها ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج2، ص 301.
39- سعيد الأفغاني ، اسواق العرب ، ص 100 وما بعدها ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج2، ص 301.
40- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 205، 206، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج7، ص293 ، ص ص 307، 308، وسعيد الافغاني ، اسواق العرب ، ص ص 29، 30 وما بعدها.
41- العصم : بمعني العصمة في كلام العرب وتعني المنع ،والعصم جمع عصام بمعني : الرباط في كل شيء، يعصمه عصما بمعني الاكتساب ، علي غرار العصم الذي اكتسبته قريش، ابن منظور ، لسان العرب ، ج10، دار صادر ، بيروت ، 2000، ص 175 وما بعدها .
42- جواد علي ، المفصل ، ج7، ص 302 وما بعدها ، كستر ، الحيرة ومكة ، ص 44 وما بعدها ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 157.
43- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 163 ، 422، 423، السيد أحمد ابو الفضل ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ص 134، انظر كذلك : جواد علي ، المفصل ، ج7، ص 302 وما بعدها ، كستر ، الحيرة ومكة ، ص ص 36 ، 44 وما بعدها .
44- والايلاف في اللغة : تعني العهود السياسية التي الفت قلوب القبائل علي بعضها " انظر ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، ج2، ص 102.
45- البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج1، ص 59، جواد علي ، المفصل ، ج7، ص 302 وما بعدها ، كستر ، الحيرة ومكة ، ص ص43 ،44 وما بعدها .
46- انظر سورة قريش الآية 1 وما بعدها قال - تعالى- : ﴿ **لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ** ﴾ " والتي أشارت الي رحلة الشتاء الي اليمن ورحلة الصيف الي الشام".

47- جواد علي، المفصل، ج7، ص 302 وما بعدها، كستر ، الحيرة ومكة ، ص 44 وما بعدها .
48- دمشـــق: وهي قصبة بلاد الشام ، سميت بدمشق؛ لأنهم دمشقوا في بنائها ، أي : اسرعوا ، ياقوت ، البلدان ، ج2، ص 463، وقيل: لجمالها واتساع رقعت بساتينها ، القزويني ، أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت، 2011،، ص 189، بصري: وهي موضع بالشام من أعمال دمشق ، وهي واجهة بلاد الشام المطلة علي الصحراء وهي مدينة تجارية مشهورة عند العرب منذ قديم الزمن ، ياقوت ، البلدان ، ج1، ص 441، غـــــزة : وهي مدينة طيبة من مدن فلسطين تقع بين الشام ومصر ، القزويني ، آثار البلاد ، ص 227. وفيها مات هشام بن عبد مناف جد الرسول خلال تجارته إلي بلاد الشام وقبره بها ياقوت، البلدان، ج4 ، ص 202.
49- **حضر موت :** هو اسم موضع وقبيلة سميت علي حضر موت بن قحطان ، والكورة نفسها ناحية واسعة تقع بالقرب من الجزء الشرقي لعدن بالقرب من البحر ، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ، بها قبر النبي هود ، ياقوت ، البلدان ، ج2، ص 270، صنعاء : مدينة باليمن سميت علي رجل يسمي صنعاء بن ازال بن يقطن بن عابر بن شالخ وقيل أن من سمتها صنعاء هم الحبشة عندما دخلوها وجدوها حصينة منيعة بالمباني فقالوا صنعة ، وبها بماء ابرهة الكنيسة الشهيرة ، ياقوت ، البلدان ، ج3، ص 426 ، البكري ، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق : مصطفي السقا ، عالم الكتب ، بيروت ،1949 ، ج3، ص 118.
50- سعيد الافغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ص 159.
51- انظر سورة البقرة ، الآيـــة 197 {**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** } / وسورة الحج ، الآيـــــة 27.
52- عكاظ : كانت من أعظم أسواق العرب في الجاهلية ، تقوم في سهل منبسط بين مكة والطائف وكان موعدها الأشهر الحرم ، بقصدها العرب من كافة أنحاء الجزيرة ، الاصبهاني ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، 1968، ص 30، القزويني أثار البلاد ، ص 85، مجنة : وهو أسم لسوق من أسواق العرب في الجاهلية تقع في بالقرب من جبل الأصفر قرب مكة وتقام سوقها بعد عكاظ لمدة عشرة أيام ، ياقوت ، البلدان ، ج5، ص 58، ذو المجاز : وهو موضع سوق يقع بالقرب من جبل عرفة تقام لمدة ثمانية أيام بعد سوق مجنة ، وهو موضع ماء لقبيلة هذيل ، ياقوت ، البلدان ، ج5، ص 55.
53- محمد مصطفي النجار ، وأحمد مجاهد مصباح ، دراسات تاريخية (العرب وظهور الإسلام) شركة الطباعة الفنية ، القاهرة ، 1969، ص ص 119 : 121، أحمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص 176.
54- سلطان ناجي ، طريق الحيرة ومكة ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد 15، السنة الرابعة يوليو ، منشورات جامعة الكويت ، 1978، ص ص 28، 29 ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج1، ص 36 وما بعدها
55- أحمد الشريف، مكة والمدينة ، ص 212.
56- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج7، ص 331.
57- سلطان ناجي ، طريق الحيرة ومكة ، ص ص 28، 29.
58- المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1960، ص 169، محمد حسين العمادي ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية ، ص 93، ص 113.
59- الحيرة: وهي مدينة قديمة تقع علي بعد ثلاثة أميال من الكوفة ، في موضع يقال له النجف ، كانت فيما سبق مساكن لملوك العرب في الجاهلية ، البكري ، معجم ما أستعجم ، ج2، ص 479، انظر ياقوت ، البلدان ، ج2، ص 328.
60- المقديسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة دار المعرفة ، بيروت ، 1982، ص 110.
61- سلطان ناجي ، طريق الحيرة ومكة ، ص ص 28، 29.
62- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج1، ص 36 وما بعدها.
63- جورج فاضلو حورا ، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوئل القرون الوسطي ، ترجمة : السيد يعقوب بكر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1951، ص 76، جواد علي ، المفصل في

تاريخ العرب ، ج7، ص ص 307، 308، انظر كذلك : أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 205، 206 ، كستر ، الحيرة ومكة ، ص 44.

64- البلاذري ، فتوح البلدان ، دار الهلال ، بيروت ، 1988، ص 452، انظر ابن خلدون ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، 1978، ص ص 462، 463.

65- حسن أبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج1، ص 76.

66- يثرب : وهي مدينة رسول الله التي سماها المدينة المنورة وطابة وطيبة ، وسميت بيثرب نسبة لأول من سكنها عند التفرق هو يثرب بن قانيه بن مهلائل بن أرم بن سام بن نوح ، وتغير اسمها بعد دخول النبي كراهية للتثريب والتي تعني التعيير ، قال المفسرون لا تثريب عليكم اليوم لا عيب عليكم ، ياقوت ، البلدان ، ج5، ص 430.

67- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج7، ص 272، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 401، وما بعدها.

68- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج7، ص 272.

69- السمهودي ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي ،ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988، ص 746، عمر الفاروق السيد رجب ، المدينة المنورة ، (الموضع خصائص المكان السكان) معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1978، ص 34.

70- عمر الفاروق السيد رجب ، المدينة المنورة ، ص 34، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 199.

71- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 365.

72- عبد السميع المصري ، التجارة في الإسلام ، منشورات مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1976، ص 7.

73- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 151 وما بعدها ، إبراهيم العدوي ، التاريخ الإسلامي ، ص 68 وما بعدها

74- النيسابوري ،المستدرك علي الصحيحين ، ج2، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990، ص 12.

75- سورة النساء ، آيـــــة 29 .

76- عبد السميع المصري ، التجارة في الإسلام ، ص ص14 : 17 ص ص 59 : 60، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 370.انظر لهذه الاقرارات في قوله تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا) في سورة البقرة ، الآيـــــة 282 وما بعدها .

77- الخطيب الهمداني ، مسند الفردوس ، ج3، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986، حديث 879، ص 176.

78- انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار الثقافة ، بيروت ، 1986، ص 168، أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ج1، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983، ص 457.

79- انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج2، دار صادر ، بيروت ، 1960، ص 132، احمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ص 457.

80- انظر لنص الصحيفة وبنودها ، عند ابن هشام ، السيرة ، ج3، ص 30 وما بعدها .

81- أحمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص 91.

82- أحمد أبو الفضل ، في عصر ما قبل الإسلام ص 135 وما بعدها ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 200 وما بعدها.

83- الواقدي ، المغازي ، ج1 ، تحقيق : محمد عبد القادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1980، ص ص 2 : 8 .

84- انظر لنص الصحيفة وبنودها ، عند ابن هشام ، السيرة ، ج3، ص 30 وما بعدها .

85- ابن هشام ، السيرة ، ج2، ص ص 90 ، 91 .

86- أحمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص ص 92، 93.

87- ابن هشام ، السيرة ، ج2، ص ص 176، 177، الواقدي ، المغازي ، ج1، ص 13 وما بعدها .

88- الواقدي ، المغازي ، ج1، ص ص 19 : 27 ، احمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص 94، محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012، ص 264.
89- ابن هشام ، السيرة ، ج2، ص 191، احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 427.
90- الواقدي، المغازي ، ج1، ص ص 193، 198، ابن هشام ، السيرة ، ج2، ص 209، ، محمد مصطفي النجار ، العرب وظهور الاسلام ، ص 410، احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 434، 435.
91- الواقدي، المغازي ، ج1، ص 338، ابن هشام ، السيرة ، ج2، ص 209، ، احمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص ص 94.
92- ابن هشام ، السيرة ، ج3، ص ص 109 : 129، وانظر الواقدي، المغازي ، ج1، ص ص 352 : 384، ابن سعد ، الطبقات ، ج2، ص ص 51 : 56 ، محمد مصطفي النجار ، العرب وظهور الاسلام ، ص ص 449: 452، احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 487 ، 488.
93- انظر ابن هشام ، السيرة ، ج3، ص 129، الواقدي، المغازي ، ج1، ص 384 : 385.
94- الواقدي، المغازي ، ج1، ص 384 : 385 ، سعيد الافغاني ، أسواق العرب ، ص 213، محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، 323، .
95- المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج1، ص 194، الواقدي، المغازي ، ج1، ص ص 402 ، 403، محمد مصطفي النجار ، العرب وظهور الإسلام ، ص 458.
96- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 451، 452.
97- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 451، 452.
98- الواقدي ، المغازي ، ج2، 443، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 451، 452، .
99- أحمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص 95 وما بعدها .
100- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 467، أحمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص 95 وما بعدها .
101- المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج1، ص 274 وما بعدها ، الواقدي ، المغازي ، ج2، ص 571 وما بعدها ابن هشام ، السيرة ، ج2، ص 209.
102- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ص 467، 468.
103- محمد مصطفي التجار ، العرب وظهور الإسلام ، ص 512 وما بعدها .
104- أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 524 وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ج2، ص 136 وما بعدها .
105- عن احداث فتح مكة واسبابها انظر كلا من " ابن عبد البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، منشورات دار المعارف ، القاهرة ، 1966، ص 212 وما بعدها ، الواقدي ، المغازي ج 2، ص 783 وما بعدها ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص 524 وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ج2، ص 136 وما بعدها .
106- انظر لأحداث خطبة النبي والعفو العام عن كفار قريش عند الواقدي ، المغازي ج 1، ص386 وما بعدها ، المقريزي ، امتاع الاسماع ،ج2، ص 835 وما بعدها .
107- المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج1، ص 495 وما بعدها ، ابن سعد ، الطبقات الكبري ، ج1، ص 345 وما بعدها .
108- محمد حسين العمادي ، التجارة والطرق التجارية ، ص 324.
109- انظر " نصوص الخطبة وما جاء فيها " عند الطبري ، الرسل ، ج3، 150 وما بعدها .
110 - سورة البقرة الآية 275 وما بعدها .
111- سورة المائدة آية 9 .
112- عبد السميع المصري ، مقومات الاقتصاد الإسلامي ،منشورات مكتبة وهبه للنشر والطباعة ، القاهرة ، 1975، ص 89.
113- سورة المطففين، الآية 1-3 ، سورة المائدة ، الآية 9 .

114- الازرقي ، اخبار مكة ، ص 183.
115- الازرقي ، اخبار مكة ، ص ص ، 183، 184.
116- علي حسني الخربوطلي ، تاريخ الكعبة علي مر العصور، ط3، دار الجليل، بيروت ، 1991 ، ص 47وما بعدها.
117- علي حسني الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ص 47وما بعدها.
118- حسين مؤنس ، عالم الإسلام ، منشورات دار الزهراء للأعلام العربي ، القاهرة ، 1989، ص 321 وما بعدها .